Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصورة بديعة للمهجو ، حين طرح بين أهل المقابر وهو مايزال حيّاً ، فاستحق الزيارة كغيره من الأموات للترحّم أو للاعتبار .

المديح :

أما الجديد فى مديحه فلعل أهم سماته الإفراط فى تمجيد المنشآت العمرانية التى أقامها ممدوحوه ، وكأنه يريد أن يؤكد أن عظمة المبانى تدل على عظمة بناتها ، أو لعله كان يقصد ــ فى مديحه للخلفاء بخاصة ــ الخروج من أسر المعانى المألوفة فى مدح الآخرين . ويضاف إلى ذلك إشارته إلى حق العباسيين فى الخلافة ، إذ إنها ميراث شرعى تحدّر إليهم عن جدهم العباس ، ومن المؤكد أنه لا يصدر فيما يقول عن قناعة أو عقيدة دينية ، ولكنه يتخذ من توكيد هذا الحق وسيلة لإرضاء الخلفاء العباسيين ، والتقرب إليهم بما يحبون سماعه وإشاعته بين العامة . وفى مديحه للموالى نجده لا يتردد فى الإشادة بأصولهم غير العربية ، وما كان لأجدادهم من مفاخر .

وعلى الرغم من غلبة المعانى القديمة على مديحه ، وبخاصة حين يمدح القواد العرب ، فإن ثمة لمحات جديدة تخطر فى شعره بين الحين والآخر ، ولعل أكثر ما يلفت النظر أن الخليفة لم يعد يستأثر بالمحاسن والمفاخر وحده ، بل يشاركه فيها قواده ووزراؤه ، وقد أكثر البحترى من الإشادة بهؤلاء القادة والوزراء ، وربما رفعهم أحياناً إلى مراتب الخلفاء والملوك ، أو أشاد بهم خلال مدحه إياهم ، وفى بعض الأحيان يضيف مفاخر القواد والرؤساء إلى قبائلهم ، كما يعدّ انتصاراتهم انتصاراً للإسلام ، وكأنهم لا يأتمرون بأمر الخلفاء .

وقد أشرت إلى تطرقه لوصف مظاهر العمران خلال مديحه بما يغنى عن الإعادة ، ولعل قوله :

قَد تَمَّ حُسْنُ «الجَعْفَرِىّ» ولم يَكُنْ لِيَتِمَّ إلاَّ بالخَلِيفَةِ «جَعْفَرِ»(١٤٩)

يفسر الرابطة بين مدح الخليفة ، والإشادة بعظمة قصوره ، فالجعفرى وغيره من القصور لم تبلغ غاية الحسن لو لم يكن الممدوح « جعفر المتوكل » بانيها ومقيم أركانها . والبحترى ليس بمبتدع المزج بين مدح الخلفاء وإظهار الإعجاب بقصورهم ، ولكنه توسع فى هذا الباب فلفت إليه الأنظار .

---

(١٤٩) المصدر نفسه ٢ : ١٠٤٠ .